

الصحافة الفرنسية ومشاركة المغاربة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) بين التعقيم والتضليل والتحقيق

د. عبد السلام بوطافي

حاصل على دكتوراه في التاريخ المعاصر
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
المملكة المغربية



مُلخَص

يتناول هذا المقال المشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى من خلال الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب، ويرصد كيف سعت الأقطاب الصحفية الفرنسية، نزولاً عند رغبة ليوطي، إلى تمجيد البطولات الوهمية للمقاتلين المغاربة وتهويل إنجازاتهم، من أجل تأمين احتياجات جبهات القتال بمزيد من الضحايا. كما يقف عند سكوتها عن المصائر المأساوية لهؤلاء، وإغفال الحديث عن الخسائر الفادحة للمشاركين المغاربة في الحرب بشكل تام أو تناولها على استحياء، وهو ما يفسر لنا ندرة المقالات التي تعرضت بالحديث عن المقاتلين المغاربة طيلة سنوات الحرب، بالرغم من استحوذ مساراتها على افتتاحيات الجرائد في كل أعدادها دون استثناء مدة تزيد عن الأربع سنوات. ورغم ذلك فإن إسهاب تلك الجرائد في الحديث عن معاناة الجنود الفرنسيين خاصة في معركة فيردان، واستنكافها الحديث عن معاناة المغاربة باستثناء تلك الومضات النادرة والتي جاءت خدمة لأهداف البروباغندا الاستعمارية، يجعلنا نقف على حجم معاناة المغاربة الذين وضعوا على خطوط النار الأولى مما يجعل عذاباتهم ومعاناتهم أضعافاً مضاعفة مقارنة مع غيرهم، خاصة إذا علمنا وفق محمد البكراوي، أن هؤلاء الشباب المغربي كان قد ألقى به في جسيم فيردان (أبريل ١٩١٦) مباشرة بعد خضوعهم لتدريب عجول.

كلمات مفتاحية:

الصحافة الفرنسية؛ الحرب العالمية الأولى؛ المغاربة؛ الاستعمار الفرنسي؛
تاريخ المغرب الحديث



10.21608/KAN.2022.273444

معرف الوثيقة الرقمي:

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢١ يناير ٢٠٢٢
تاريخ قبول النشر: ١٨ فبراير ٢٠٢٢

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عبد السلام بوطافي، "الصحافة الفرنسية ومشاركة المغاربة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨): بين التعقيم والتضليل والتحقيق"، دورية كان التاريخية، - السنة الخامسة عشر - العدد الخامس والخمسون، مارس ٢٠٢٢، ص ١٥١ – ١٦١.



Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>
Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>
Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: abdesselamb5@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

نُشر هذا المقال في دورية كان التاريخية (Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made. للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع. نشر هذا المقال في دورية كان التاريخية (Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made. للأغراض التجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةٌ

على أرض فرنسا بعد تغطية هذه الأخيرة للزيارة التي قام بها وزير الحربية "ميلرو"^(٤) للقناصة المغاربة^(٥) كما قام الرئيس الفرنسي - "بوانكاري"^(٦) باستعراض القوات القادمة من المغرب^(٧).

وفي امتثال تام من جريدة "لافيجي ماروكين" للبروباغاندا الاستعمارية في تعاملها مع مشاركة المغاربة في الحرب، كما وضعها المقيم العام الجنرال ليوطي، وحثه للصحافة بضرورة الالتزام بها، أسهبت الجريدة في الحديث عن استعداد الأهالي للدفاع عن التراب الفرنسي، وأن الفضل في تحول أعداء الأمس إلى مدافعين (أوفياء) عن فرنسا، يرجع بالأساس إلى الجهود الكبيرة التي قام بها ضباط إفريقيا، الذين يدين لهم (الوطن) الفرنسي بالكثير. ولأن هذه المشاركة كانت في حاجة لمزيد من الدعاية فقد حرصت الجريدة هذه المرة على تغطية مغادرة القوات المغربية بشكل مباشر وليس بالاعتماد على القصصات القادمة من وراء البحار، فغطت حضور المقيم العام (ليوطي) في ١٧ شتنبر مراسيم توجه الفرقة الثالثة من القناصة نحو فرنسا، وكذا الفرقة الرابعة من جنود الاحتياط (رقم ١١٤) والفرقة الأولى من كتيبة جنود الاحتياط (رقم ١٢٨)، وكان عدد القناصة في مجموعه يتكون من ١٨ ضابطا و٦٩٧ جندي تحت قيادة الرائد "ميتل هوزر"^(٨) وقد قدمت هذه الكتيبة من تادلة^(٩).

ولأن المقيم العام ليوطي كان كلما أراد التحضير لمشروع كبير إلا وواكبه ميلاد حملة كبيرة متنوعة تشن بمهارة من أجل دعمه على مختلف المستويات من رأي عام وبرلمان ووزارات وأوساط دبلوماسية^(١٠) وعلى رأس ذلك كانت طبعا الصحافة، لهذا نجد للافيجي ماروكين الخاضعة للرقابة الصارمة والتوجيه، مضطرة ليسط صفحاتها لمزيد من الدعاية الحربية رغبة منها في التذكير بمساهمة الجنرال ليوطي في دعم جبهات القتال بأرض الوطن الأم، نيابة عن عدم مشاركته الفعلية، وفي إطار تملقها للجنرال ذكرت على أن هذه التعزيزات العسكرية، يرجع الفضل فيها للمؤطرين الفرنسيين الذين وفروا لها قناصة مغاربة، على مستوى عال من الفعالية، التي أثارت إعجاب كل من خير قوتهم على قرب في خطوط النار الأولى. و من جهة أخرى، أشارت إلى ما اكتسبته هذه القوات، في جميع تخصصاتها من تجربة كبرى، من خلال الحروب التي خاضتها بالمغرب، ابتداء من سنة ١٩٠٧، لذلك فهي متعودة على حياة المعسكرات، متنبئة أن سيكون لها النصيب الأوفر مما ستحوزه القوات الفرنسية مجتمعة من المجد خلال هذه الحرب، وفي ظل هذا الحماس دعت الجريدة إلى

عمل المقيم العام الجنرال ليوطي مع اندلاع الحرب على فرض رقابة صارمة على الصحافة وجعلها خاضعة كل الخضوع للحماية، فجاءت مواد الجرائد فيما يتعلق بمشاركة المغاربة في الحرب العالمية الأولى متشابهة كل الشبه، واكتنفها التزليل والتعتيم واخترقها خطاب استعماري/استشراقي تحقيري وسم الأهلي بكل ما أنتجه هذا الأخير طيلة مسيرته في مقارنته للإنسان الشرقي، ولم يشفع للأهلي ما قدمه من تضحيات للدفاع عن فرنسا لدى صحافتها للتعامل معه كإنسان راشد على نفس القدر من السوية البشرية مع الجندي الفرنسي، وحتى المآثر التي تحدثت عنها لهؤلاء المقاتلين المغاربة، على الرغم مما انطوت عليه من تحقير، لم تأت إلا بغرض التزليل والتزييف للواقع الحقيقي الذي كان يكابده أبناء القبائل المغربية الذين وضعوا في خطوط نار الأولى للمواجهات الدامية. وتثير قضية تناول الصحافة الفرنسية لمشاركة المغاربة في الحرب العالمية الأولى عددا من الأسئلة: - كيف غطت عمليات تجنيد المغاربة؟ - ما مقدار التعتيم والشفافية في نقل أخبار ضحايا الحرب؟ - ما طبيعة الخطاب الذي اعتمده تلك الصحافة وهي تتناول المشاركة المغربية؟ وما خلفيات هذا الخطاب الإيديولوجية؟

أولاً: الصحافة الفرنسية بين مشاركة المغاربة في الحرب العالمية الأولى والتعتيم عن الوضع الداخلي

لم ينل انخراط المغاربة في الحرب العالمية الأولى ومغادرتهم لأرض الوطن في الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب أهمية تليق بخطورة الحدث، خاصة وأنه كان له وقع الصدمة على الأهالي الذين لم يتعودوا على مغادرة أرض الأجداد وقطع البحار من أجل الالتحاق بأرض مجهولة حيث تستعر الحرب، فجريدة "لافيجي ماروكين"^(١١) لم تقم بتغطية عملية مغادرة المغاربة لأرض الوطن، في اتجاه جبهات القتال بأوروبا، إلا بشكل مقتضب "أرسلت في الشهور الأولى للحرب، وبالضبط في ٧ شتنبر ١٩١٤، فرقة من القوات المغربية تحت قيادة الجنرال برولار على متن مارتينيك من ميناء الدار البيضاء، وقد كان في وداع برولار كل من الجنرال ليوطي وكبار شخصيات الدار البيضاء من مدنيين وعسكريين"^(١٢)، وظل هذا الخبر بالنسبة إليها موضع شك ولم تتأكد من صحته إلا بالاعتماد على الجريدة الفرنسية الصادرة بالمتروبول "لالبيرتي"^(١٣) التي أكدت وجود قوات مغربية

من إفريقيا الغربية، إضافة إلى قوات الاحتياط القادمة من فرنسا التي قدمت دعماً قوياً لقوات الاحتلال بالمغرب، بقدمها السريع، وعددها الكبير^(١٣).

وكما لجأت الصحافة الفرنسية إلى التهيب النفسي للأهلي وطمأنة المعمر في مبالغتها للتعويل على ما تبقى من قوات لرفع التحدي، وذلك من أجل التعتيم على الوضع الحقيقي الذي كان يعيشه المستعمر جراء عنف وبأس المقاومة القبلية^(١٤)، لجأت إلى الاختباء وراء النخبة المغربية لتمير سياسات المستعمر وترسيخ وجوده، فنشرت مقالات تبرز المواقف الداعمة لفرنسا في حربها الأوروبية، فأشارت إلى الموقف الداعم للسلطان المغربي المولى يوسف، وللمخزن، وللأعيان لفرنسا في حربها الأوروبية، وكذا دعم تواجدتها بالمغرب، وقامت كذلك بنشر نص الحوار الذي أدلى به السلطان المخلوع المولى عبد العزيز، عند زيارته لمدينة بوردو (Bordeaux)، للصحافة الفرنسية والذي عبر فيه عن إعجابه الكبير بالحماس الوطني لدى القوات الفرنسية، وعن سعادته لقتال القوات المغربية تحت راية فرنسا^(١٥).

ولأن العامل النفسي وحده لا يكفي، فقد بسطت جريدة "لافيجي ماروكين" أمام قرائها التشكيلات العسكرية بالمغرب لقوات الاحتلال و خريطة انتشارها، فأشارت إلى اعتماد فرنسا على قواتها العاملة (Les Troupes actives) مدعومة من طرف وحدات الاحتياط التي كانت تتمركز على الجبهة الأمامية، والتي كان يتوقف عليها ضبط الاستقرار، وبالتالي الاستفادة من المغرب، كخزان بشري وطبيعي لمد المتروبول بحاجياته حتى نهاية الحرب، ولتحقيق هذه الغاية، دعت جريدة (La Vigie Marocaine) الجنود المتواجدين بالمغرب إلى تقديم المزيد من التضحيات، خاصة بالمناطق المشتعلة الممتدة من أكادير إلى تادلة، ومن خنيفرة إلى ملوية، لأن أي تراجع بها، حسب الجريدة، ستكون له عواقب وخيمة، ليس فقط على مستوى تضييع جهود ست سنوات من القتال بالمغرب، ولكن ستكون له نتائج وخيمة، على الوضع بالبلد الجار (الجزائر).

اكتنف التعتيم الصحافة الفرنسية مع اندلاع الحرب، وبلغ ذروته مع معركة لهري التي تلتها قوات الاحتلال على يد موحى أوحمو الزياني بسفوح جبال الأطلس المتوسط، فتجلى التعتيم في كون جريدة (La Vigie Marocaine) حين استعرضت أسباب هزيمة لهري، أرجعتها لمجرد أسباب تكتيكية محضة " جاءت المعركة الدامية بعد أن أخطرت مصلحة الاستعلامات الكولونيل دو لافيردير في ١٣ نونبر بوجود معسكر لموحى أوحمو

إرسال هذه القوات إلى خطوط النار الأولى^(١٦)، وهذه الدعوة الصريحة غير المواربة تعد انزلاقاً خطيراً منها، خاصة وأنها جاءت في فترة تميزت بدعوة ليوطي الصحافة الفرنسية بعدم الخوض فيما قد يثير أشجان عائلت المحاربين المغاربة.

والواضح أن الصحافة الفرنسية كانت وفية في خطها التحريري لتعليمات ليوطي، بالرغم من بعض الانزلاقات التي وقعت فيها عن غير قصد، وهي تتناول مشاركة المغاربة في الحرب، ويتجلى ذلك في حرصها على بث جو من الاطمئنان وسط المعمرين والرهبة بين الأهالي بالإيحاء أن عاقبة الحرب ستكون حتما لفرنسا، حتى لا يراودهم حلم كسر نير الاستعمار المطوق لأعناقهم، وخدمة لهذه الأهداف أشارت إلى أنه مع بداية الحرب، أصبح تحت تصرف فرنسا حوالي ٣٠ ألف جندي، بإمكانها أن تسوقهم من المغرب نحو فرنسا، ٣٠ ألف جندي مؤطرين بشكل جيد، ومنضبطين لرؤسائهم، ولديهم قدرة فائقة على التحمل والمقاومة. وبذلك يكون المغرب، قد ساهم بشكل كبير في دعم الجبهة الفرنسية، إذ أرسل ما مجموعه ثلاث شعب من المشاة مع فرقة من الخيالة وفرقتين من المدفعية، وأغلب قوات الهندسة العسكرية، وجميع المصالح المرتبطة بهذه التشكيلات، وهو الأمر الذي لم تكن تنتظره حكومة فرنسا، في البداية، سواء فيما يتعلق بالعدد أو المدة الزمنية التي يتطلبها وصول هذه القوات^(١٧).

ولأن هذه المشاركة أدت إلى استنزاف القوة العسكرية بالمغرب مما أدى إلى بث الرعب من ضياع المغرب، من بين أيدي الاستعمار الفرنسي، وكان هذا الشعور يسيطر على الكثير من السياسيين الفرنسيين، وكان الغموض يكتنف مصير المعمرين الفرنسيين داخل المغرب، وبلغت تلك المشاعر ذروتها خاصة مع بداية الحرب العالمية الأولى التي لم تكن مجرباتها في صالح القوات الفرنسية، فقد عمدت الصحافة إلى التعتيم على الواقع المؤلم الذي كان يمر منه الوجود الاستعماري عن طريق إشاعة الأمل للتخفيف من وطأة مشاعر الخوف الخائفة، التي جثمت على صدور المعمرين الفرنسيين، فاستهانت بتقليص عدد القوات الفرنسية داخل المغرب، مدعية أن الحماس واندفاع وقوة ما تبقى من قوات بالمغرب، قادرة على رفع العلم الفرنسي بالجهات التي احتلتها، و على تكييد الثوار هزائم قاسية في حالة قيامهم، وأكدت على استقرار الوضع، وتحكم سلطات الاحتلال في جميع الموارد البشرية والطبيعية للبلاد، وذلك "بفضل ١٧ كتيبة كانت تتحكم في ضبط كل من الشرق والغرب، في انتظار التحاق الكتائب السنغالية

في جحيمها رغم عدم تلقيهم سوى لتدريبات عجولة^(٢٦) لا تؤهلهم لحوض الحرب الأوروبية. وعلى الرغم من هذا التعقيم فقد كانت هناك بعد الانفلاتات، إذ نسجل أنه منذ بداية معركة فردان الدموية إلى نهايتها "٢١ فبراير ١٩١٦ إلى ١٨ جنىر ١٩١٦"، وعلى الرغم من التغطية اليومية للصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب لأحداث الحرب، لم نعرث سوى على إشارة يتيمة للمشاركة المغربية، حيث تضمنت "لادبيش ماروكين" مقالا بتاريخ ٢٨ مارس، يؤرخ لأحداث شهر فبراير فيه تحدثت عن العمل الجبار الذي قام به القناصة المغاربة: "في ليلة ٢٤ فبراير، إذ بعد مسيرة يومين كاملين، قاموا بوضع الحواجز أمام قرية (Village) (Douaumont) * بهدف قطع الطريق عن الألمان، الذين شنوا منذ أربعة أيام من ذلك التاريخ (٢٤ فبراير)، هجوماً كاسحاً على (Verdun) *... لقد انتظر الجند المغاربة لليلة كاملة، تحت القصف الشديد، ليلة باردة في غياب المأوى والغطاء، وبعدها (٢٥ فبراير) واجهوا قصفاً شديداً، أكثر حدة من قصف ليلة ٢٤ فبراير للمدفعية الألمانية من أجل تشطيب المكان، لتندفق خمس أو ست موجات متتالية للمشاة الألمان، الذين انصبت حمم النار على رؤوسهم من طرف القناصة المغاربة الذين اتخذوا مكامن لهم بالقرية، التي اعتقد الألمان خلوها، ومنها (المكان) شرعوا في اقتناص الألمان الواحد تلو الآخر"^(٢٧).

ومن أجل التعقيم على فداحة الخسائر المغربية، خلت صفحات الجرائد الفرنسية الصادرة بالمغرب من رسائل المحاربين المغاربة، القادمة من وراء البحار، واكتفت بنشر تلك التي وجهها وزير الحرب الفرنسي إلى المقيم العام، وحثه فيها على طمأنة عائلات وقبائل المحاربين المغاربة^(٢٨). ولأن الواقع كان من المستحيل تجاهله، وجدت الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب نفسها مضطرة لتغطية أفواج معطوبي الحرب القادمين من وراء البحار، فقد تحدث لويس سابلان عن عودة فيلق مغربي مكون من ١٨ ضابطاً و٩٨٠ جندي، إضافة إلى خمسين مصاباً، تم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية لانعدام قدرتهم البدنية على مواصلة الحرب، والذين سيعودون للعيش بين أحضان قبائلهم^(٢٩). وهذه الأرقام خادعة، فدون شك أن الحصة كانت أكبر من ذلك بكثير، والدليل في ذلك هو تضارب الأرقام لنفس الجريدة في تغطية نفس الحدث، فهناك مقال يتحدث عن أرقام أخرى ليست هي تلك الواردة في افتتاحية لويس سابلان^(٣٠). وقد ظل التعقيم سيد الموقف في تغطية الصحافة الفرنسية لنزول المغاربة بأرض الوطن، إذ لم تعد

على بعد كيلو مترات من جنوب المركز الفرنسي بخنيفرة، فانتوى أخذه على حين غرة، وتشتيت جمعه، فتشكلت على الفور قوات من ستة فيالق: المشاة الكولونيلية، والقناصة الجزائريون، والسنغاليون، والكوم، ومدفعية من طراز ٧٥... ثم توجهوا فجرا نحو معسكر أوحمو الزياني. تمت العملية بسرعة، حيث أغارت القوات الفرنسية على معسكر المتمردين، ثم عادت القوات الفرنسية لدخول خنيفرة، وأثناء العودة، وبمنطقة جد وعرة، كانت المأساة التي حلت بالقوات الفرنسية التي هوجمت من طرف ٥٠٠ متمرّد، كانوا ميثوثين بين أحضان الصخور... استمرت المعركة ليوم كامل، وما إن حل المساء، حتى سقطت ست مئة جندي من القوات الفرنسية^(٣١) وأغفلت بشكل تام الحديث عن عوامل أخرى أثارت زوبعة من البوليميك بين ليوطي ومجموعة من الصحف الباريسية، التي اعتبر ليوطي حملاتها المنتقدة لسياسة التهذئة بالمغرب السبب الرئيسي للهزيمة، وطالب وزير الحربية باتخاذ حزمة من الإجراءات للوقوف في وجه الأعلام الباريسية المشككة في قدرات ليوطي وأهليته في قيادة البلد وتطويعه لخدمة الوطن الأم، كما دعا وزير الحربية بمنع كل تدخل في الشؤون العسكرية من لدن الصحافة، واهتبال كل الفرص الممكنة للتعبير عن دعم الحكومة الفرنسية لسياسة التهذئة الحذرة والمرحلية التي كان ينفجها ليوطي^(٣٢). ومن المعروف أن هذا الأخير كان يدرك تماما هول المعركة وأثارها المدمرة، إلا أنه كان يسعى إلى التخفيف من حدتها والتقليل من خطورتها في كل الوثائق الموجهة للعامّة، أي أنه كان يدعو إلى تزييف الحقائق والاستخفاف بذكاء الفرنسيين أنفسهم، وذلك بسبب انشغاله حد الأرق بما كانت تنشره الصحافة بالمتروبول، خاصة الحملات التي كان يقودها أعداؤه داخل البرلمان وعلى صفحات الجرائد.

الملاحظ أن التعقيم اكتنف الصحافة الفرنسية حتى وهي تتزاج بين الحديث عن الوضع بالمغرب، بما يخدم أهداف ومصالح الاستعمار، وبين ما يقع في جبهات القتال بأوروبا، ويصل التعقيم الإعلامي مداه عند الوقوف على طبيعة التغطية الصحفية للجرائد الفرنسية الصادرة بالمغرب لمعركة فردان، التي وصفها المؤرخون بجحيم فردان، فالملاحظ أن تلك الصحافة "تمونج لوبروكري ماروكان"^(٣٣) حين بسطت صفحاتها للحديث عن المعركة المذكورة وأهوالها، وربطت مصير الحرب بنتائجها، وتحدثت عن ما يناهز ٢٨٠,٠٠٠ قتيل ألماني^(٣٤)، لم تشر من بعيد أو قريب للخسائر الفرنسية، والأُنكى من ذلك أنها لم تشر إلى المشاركة المغربية، ونحن نعلم أن هؤلاء قد كذب بهم

أرواحهم من أجل تجنب الجنود الفرنسيين مهالك المواجهات ومخاطرها، إلا أن هذا التوجيه من المقيم العام لم يكن يعني أن ليوطي كان رحيما مشفقا على هؤلاء الأهالي، بل على العكس من ذلك تماما، كان يعتبرهم وقودا جيدا لمحرقه الحرب، لكن على فرنسا أن تستهلك هذا الوقود بحذق ومهارة من أجل تأمين تدفق المزيد من أمواج المحاربين المغاربة^(٧٧).

وللتضليل على واقع ما يكابده الجندي المغربي من معاناة، عمدت الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب إلى نشر قصصات إخبارية توجي بصلابته وقوته، ولم ترى في التهام آلة الحرب الرهيبة لأجساد المغاربة^(٧٨)، واحتراقهم في أتونها، مما كان يذهب بحياة الأب وابنه^(٧٩)، إلا إيمان هذا الأهلي "الطيب المتوحش" بفضل فرنسا في وضعه على طريق المدينة الحديثة، وانتشاله من غياهب ظلام التخلف الحضاري، ولم ترى في ذلك أن دولة الاحتلال كانت تريد ربح الحرب - أو على الأقل في ذلك الوقت (١٩١٤) دفع الاكتساح الألماني عن أراضيها - بأي ثمن كان ولو عبر التضحية بحياة أشخاص من نفس العائلة^(٨٠).

اتخذت الصحافة من الحديث عن المشاركة المغربية فرصة لإشاعة جزء من البروباغاندا الاستعمارية، التي وضعتها الإقامة العامة، وألزمت بها المنابر الصحفية، ممثلة في الاحتفاء وتمجيد بطولات المغاربة، للتضليل على واقعهم الحقيقي، لذلك اعتبرت تضحياتهم المجانية لصالحها مفرجة تكرر كل أيام الحرب، فتحدثت عن تمكن أحد المحاربين المغاربة من انتزاع العلم الألماني بالقرب من "نويو" (Noyon) خلال إحدى المعارك، كما تحدثت عن تخلي كتيبة من المدفوعين الفرنسيين عن أربع مدافع، بعد أن باغتهم الألمان، فاضطروا إلى التراجع بأمر من رؤسائهم، للحيلولة دون وقوع مذبحه لا طائل من ورائها، وقد عاد هؤلاء الجنود (الأفارقة) وهم يتميزون من الغيظ، إلا أنهم في اليوم الموالي، تمكنوا من استعادتها، بعد أن تسللوا إلى إحدى الضيعات حيث أخفى الجنود الألمان المدافع.

لم تقف الجريدة ها هنا في التذكير بمآثر الجنود المغاربة، فبعد حديثها عن تمكنهم من احتراق الضيعة وقتل الجنود الألمان، والعودة إلى المعسكر بالمدافع الأربع من نوع ٧٥، تحدثت عن البسالة المنقطعة النظر، خاصة في معركة (L'Aisne)، حيث بذل الألمان مقاومة يائسة، في مواجهة الفرنسيين الذين احتموا بالأجمات، فضاعفوا من إطلاق النار، مما جعل الألمان يتراجعون إلى الوراء، أما الجنود المغاربة فقد اندفعوا بشكل باهر، تحت وابل من الرصاص الألماني في اتجاه موقع العدو وبفضل هذه الهجمة التي استعملت فيها بنادق

تشير إلى أعدادهم في تجاهل تام منها^(٨١)، مكتفية بالتعليق على عمليات النزول بشكل عام ففضاض مع الحرص على إضفاء نوع من البهجة على قتامة وسواد مشاهد الأطراف المقطعة من خلال رسم الاستقبالات الفخمة التي كانت تخصص لهم من طرف كبار شخصيات الإقامة العامة والمخزن. مكتفية بالتعليق على عمليات النزول بشكل عام ففضاض مع الحرص على إضفاء نوع من البهجة على قتامة وسواد مشاهد الأطراف المقطعة من خلال رسم الاستقبالات الفخمة التي كانت تخصص لهم من طرف كبار شخصيات الإقامة العامة والمخزن.

إذا كانت الصحافة الفرنسية قد لجأت إلى التعتيم على حقيقة الوضع السياسي والعسكري للمستعمر بالمغرب، وعلى حقيقة ما تمر منه قوات فرنسا بالمتروبول من تراجع على جبهات القتال أمام القوات الألمانية، فقد لجأت إلى نهج سياسة التضليل كذلك للتغطية على المجزرة التي كان يتعرض لها المغاربة المشاركون في الحرب، فقدمتهم في صورة البطل الخارق، من أجل دغدغة العواطف، في وقت كان الرعب يسيطر على الناس، خاصة وأن أولى رسائل القناصة المغربية لعائلاتهم لم تكن تبشر بخير، بل وكان بعضها يؤكد أنه لم يتبقى من المغاربة سوى خمسين جنديا، وأن المغاربة يوضعون على خطوط النار الأولى، والأذى من هذا أن غياب الأخبار عن المحاربين كانت تعني لدى الأهالي اختفاءهم عن الوجود^(٨٢).

ثانياً: التضليل الإعلامي في الصحافة

الفرنسية حول مصير المغاربة في الحرب

كانت الصحافة الفرنسية بالمغرب تقوم بترجمة أمنية للسياسة التي اجترحتها ليوطي في زمن الحرب، فهذا الأخير لم يكتف بتعميم الجهل والتضليل، بل صفق له واحتفى به وأشاد به، في عملية تضليل واسعة مارسها على شعب سانج، وجاهل، وسادر عما يحاك ضده، فقد جاء الحديث عن المآثر التي اجترحتها المحاربون المغاربة بجبهات القتال الأوروبية في الصحافة الفرنسية في وقت كانت تفيد الرسائل الموجهة من الجند المغاربة إلى أهليهم، والقادمة من خطوط النار بمقتل أغلبهم، مما كان يعني استهتار قادة الحرب الميدانيين بأرواحهم، وهذا ما كان يغذي الشائعات ويضفي عليها مزيدا من المصداقية، ويضرب عمل ليوطي في الصميم. وللحد من غضب المغاربة طالب ليوطي السلطات العسكرية بالمتروبول بجعل الجند المغاربة تحت قيادة رؤسائهم السابقين من أمثال برولار وكوروا... لأن وضعهم تحت إمرة جنرال من المتروبول، سيحمل الناس على الاعتقاد بسهولة التضحية بهم، واسترخاض

وهي العوامل التي أحسن المؤطرون الفرنسيون استغلالها أسوأ استغلال، والدفع بهؤلاء البسطاء للاحتراق في جحيم حرب لا تعينهم من قريب أو بعيد.

وقد اتخذ الجنرال ليوطي من هذا الإقدام، الذي تحلى به الجندي المغربي، وساعده في ذلك الصحافة، وسيلة لتضليل عائلات الجنود ومعهم جميع المغاربة، عن حقيقة ما يجري بالجيها، فأبلغهم محتوى التلغرامات المطمئنة كذبا وزورا، التي توصل بها من طرف وزير الحرب الفرنسي، والتي أشاد فيها بقتالية القناصة المغاربة الذين "كانوا يقاتلون بحماس منقطع النظر، جعل الضباط يتدخلون للتخفيف من غلوائه، تباديا لمزيد من الضحايا في صفوفهم. لقد كان هؤلاء الجنود يقاتلون تحت القصف العنيف لنيران المدفعية الألمانية، غير عابئين بالأخطار"^(٣٤)، لكل ذلك رآهم جديريين بعرفان فرنسا، خاصة فرقة القناصة من الخيالة والمشاة^(٣٥).

لم تكن هذه الأخبار سوى تضليل للرأي العام المغربي، وغطاء للتعظيم على ما يكابده أبناء القبائل المغربية المنخرطين في صفوف القوات الفرنسية المنهزمة والمسحوقة بجهات القتال. ومن المعلوم أنه في هذه الأثناء كانت الصحافة تعمل على إلهاء الشعب بإقامة المعارض، والمهرجانات وتشجيع الملاهي، وتنميط اهتمامات الشعب المغربي، وصرفه عن قضايا الحقيقة والمصرية.

وبلغ تضليل المغاربة، عن الأوضاع الداخلية، وعن مصائر المحاربين، وعن الموقف الحقيقي للقبائل المغربية من الوجود الاستعماري ذروته، ولم يחדش سكون هذه السياسة القائمة على التضليل، سوى معركة لهري التي وجدت الصحافة المحلية نفسها مضطرة للإشارة إليها، لكن دون الذهاب بعيدا في البحث عن أسبابها الحقيقية^(٣٦) عكس صحافة المتروبول التي استأسدت في تحمیل ليوطي المسؤولية، والتي معها انتابه شعور بالحذلان، وأنه يواجه المصاعب وحيدا، وازداد شعوره بالجزلة مع المقالات الافتتاحية التي تصدرت العناوين الكبرى لجريدة "لوم ليبر" (L'homme libre)، وكذا مع الخطابات الحادة بالبرلمان الفرنسي التي جرت يومي ١٠ و٢٤ مارس ١٩١٤ وعابت عليه نهجه سياسة الاحتراق السلمي التي رأت فيها مجرد سياسة فاشلة وخرقاء تتخفى وراء سربال من العناوين البراقة^(٣٧).

ولم يشمل التضليل فقط جهات القتال سواء بالسكوت عن المجازر الدموية التي ذهب المغاربة ضحية لها لاستهانة القادة الفرنسيين بأرواحهم، أو بالمبالغة في تمجيد بطولاتهم

(La baïonnette) استطاع الجنود المغاربة من الانقضاض على سلاح المدفعية الألماني، وتدمير تسعة من المدافع^(٣٨).

ازدحمت الصحافة الفرنسية بمقالات تقرير وتمجيد بطولات المحاربين المغاربة، وقد تبدو للقارئ العادي أنها ليست سوى نتيجة لما منحه تلك البطولات الخارقة للأقلام الصحفية الفرنسية من إلهام، ولكن هي في الواقع سياسة إعلامية محكمة، عمادها التعظيم عما يقع في جهات القتال من مجازر للمغاربة عن طريق تهويل وتضخيم منجزاتهم، وتضليل الرأي العام المحلي عن المصائر الحقيقية لأبناء القبائل. سياسة إعلامية وضعتها الإقامة العامة للتأثير على الرأي العام بالمغرب سواء كان من المعمرين المتقنين للغة الفرنسية أو من الأهالي الذين كانوا يعتمدون في معرفة أخبار ما وراء البحار على ترجمة المتقنين لها خاصة من اليهود بالأوساط الشعبية. ولم تكن تلك المقالات، لأهميتها في تشكيل الرأي العام بالمغرب، والمعول عليه في الأول والأخير من طرف المستعمر في الحفاظ على استقرار الأوضاع، توقع إلا بأسماء كبار الصحفيين، فروبير راينو (Robert Raynaud) رئيس تحرير جريدة "لادبيش ماروكين" (La Dépêche Marocaine) خصص مقالا للحديث عن قتالية الجندي المغربي الذي منحه ليوطي لفرنسا، هذا الجندي الذي استطاع التأقلم بسرعة مع أجواء الحرب الأوروبية الرهيبة، والقاسية، التي تختلف كل الاختلاف عن الحرب في المغرب^(٣٩). وقد تميزت خلال بدايات الحرب العالمية الأولى، فرقة القناصة المغربية التي ضمت ٥ آلاف جندي مغربي، وخاضت معارك رهيبة ما بين منطقتي "ميو" (Meaux) وشارني (Charny) ونلمس من خلال مقال راينو ليس فقط ظللا للبروباغندا، بل تملقا واضحا منه للمقيم العام ليوطي، مما يدل على سطوة الجنرال في هذه الأوقات على المنابر الإعلامية، التي عمد الجنرال إلى إخضاعها بشتى السبل من التضييق عليها ماليا، وتهجير ونفي الأصوات المعارضة لسياسته خارج المغرب، لهذا لم يكن مستغربا أن تطفح الصحافة بمثل هذه المقالات الممجدة لبطولات المغاربة، التي أسطرت المشاركة المغربية^(٤٠).

والواقع أن هذا الاندفاع والحماس الذي اتخذته الصحافة الفرنسية كغطاء لتضليل الرأي العام، كان فعلا إحدى مميزات الجندي المغربي، وكان حاسما في كثير من المعارك، ورجح الكفة لصالح الفرنسيين، في كثير من الأحيان، نتيجة للمواقف البطولية، التي أبان عنها الجندي المغربي، والتي ما هي في الأخير، إلا محصلة لبساطة الفكر وتدني ملكة العقل، وتأجج العاطفة،

الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب، رغم سياسة التضييل المنتهجة، تجد نفسها مضطرة إلى البوح بأنها فعلا تسفك على الأراضي الأوروبية بغزارة، محاولة سربلتها بغطاء من الزهو الكاذب، إذ في الوقت الذي كانت فيه تنقل مآثر المحاربين المغاربة، كانت تسكت عن خسائرهم التي دون شك ستكون فادحة مقارنة مع الأهوال والمخاطر التي كانوا يخوضونها، والتي كانت تثير انبهار قاداتهم الفرنسيين.

والمقتطفات التالية من القصص التي أخذناها من الجرائد الفرنسية ظاهرها يوجي بقتالية المحارب المغربي، وبسالته، وقدرته على التأقلم مع أجواء الحرب الحديثة وتقنياتها المستجدة، وباطنها يشي بفداحة الخسائر الجسيمة التي كان المغاربة ضحية لها، واستخفاف القادة الأجانب بحيواتهم: ففي معرض حديثها عن استمرار المغاربة في إثارة انبهار الفرنسيين، إذ لم تقتصر خصال الشجاعة والحماس والجرأة على سلاح القناصة، أشارت إلى "أتقن المغاربة كذلك حرب الخنادق (La guerre des tranchées)، وأبانوا فيها عن نفس الخصال من استماتة وجلد"^(٤٧)، وعند حديثها على عدم انحصار مهارة الجندي المغربي في الاندفاع الجسدي وحده، واستعماله كذلك لذكائه الحربي، بشكل باهر، أشارت إلى: "بعد فشل جميع محاولات القوات الفرنسية، بما فيه استعمال سلاح المدفعية، لإخلاء غابة (d'Houthulst) من الألمان المتخندقين بها جاء الحل الحاسم على يد عشرين من الزواف (مغاربة وجزائريون)، الذين استأذنوا جنرالهم بالتوجه ليلا إلى الغابة، واستمر انتظار الفرنسيين سماع تبادل النار بين الطرفين لساعات، إلا أنه وعلى غير المتوقع، ارتفع وميض باهر، يعمي الأبصار نحو عنان السماء، وامتدت ألسنة اللهب، التي حملتها رياح الغربي بعيدا لتشمل أكبر بقعة ممكنة، فوجد الألمان أنفسهم مرغمين على ترك الخنادق، التي وجدت في الصباح الباكر، وقد اسودت من شدة الاحتراق، وتفحمت داخلها جثث بعض البروسيين، وهكذا تقدم الفرنسيون مسافة كيلومتر واحد، وتمتروا بنفس مواقع الجند الألمان الذين اندحروا وسط الغابة"^(٤٨).

وقد اعتمدت الصحافة الفرنسية، في إحاطتها للمشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى بالتعظيم والتضليل، خطابا التحمت فيه القوة السياسية المهيمنة بما أنتجه الغرب من معرفة ومن تمثلات ثقافية عن الشرق وأهله، وهو ما سنقف عليه في النقطة التالية.

من أجل بث الحماس في صفوف الأهالي للدفع بهم لقبول الالتحاق برحى الحرب الدائرة بأوروبا، بل شمل كذلك المدنيين من الأهالي فادعت الصحافة الفرنسية مؤازرتهم للمستعمر في حربه ضد خصومه، فجريدة "لافيجي ماروكين" تحدثت عن شروع الأهالي في الاكتتاب منذ بداية الحرب، بشكل مثير للإعجاب، ففي الدار البيضاء تم جمع مبالغ مالية مهمة، وتم نفس الشيء بمزاكان، وبنواحي موكادور اتفق الأعيان العرب على تشكيل لجنة لجمع التبرعات، والتي تمكنت في أيام معدودة من جمع حوالي ٥٠٠٠ إسبيرة، قدمتها لقتل فرنسا^(٤٩)، إضافة إلى مجموعة من الجياك لمعرفتها بطبيعة الجو الفرنسي البارد، وبأقصى الجهة الأخرى للمغرب، أي بوجدة، فقد تبرع الأهالي بعدد من الألبسة الصوفية لجنود فرنسا^(٥٠)، وهو ما اعترفته الجريدة دليلا على نجاح السياسة الاستعمارية التي نهجها ليوطي بالمغرب، والتي من خلالها استمال الأهالي إلى حد المساهمة بماله القليل لدعم دولة الاحتلال.

وبالتمعن في المقال يتبين لنا تناقض الجريدة في تناولها للموضوع وتزييفها للحقائق، ففي نفس المقال نجدتها تحدثت عن استثناء الأعيان وأصحاب الدكاكين والعمال من الاكتتاب مخافة غضبهم، أي القوى الحية في البلاد التي عليها تستند دورة الحياة الاقتصادية، مما يدل على أن الاكتتاب كان يتم تحت الإكراه، وكان يزرع تحت ثقله المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

وبذلك تكون دولة الاحتلال الفرنسي، قد جعلت من المغرب ومن جميع مستعمراتها الإفريقية، خزانة لا ينضب من الدعم المالي والعيني والبشري، هذا الأخير الذي كان له النصيب الأوفر في تشييط رحى الحرب التي سحقته عظامه، فقد كلف تحرير (Ramscapelle) القرية الواقعة بين نيوبور (Nieuport) وفورن (Furnes)، بعد فرار الجنود البلجيكين، وانسحابهم من الخنادق، تحت وإبل الرصاص الذي صب على رؤوسهم من طرف العدد الهائل من الجند الألمان من الجهتين، الكثير من أرواح الأفارقة لاستعادته، وقد جعلت فداحة الخسارة الملك ألبير، يكرم بنفسه هؤلاء الجند، ويعترف بجميلهم على الوطن البلجيكي^(٥١)، ولم تنس فرنسا بدورها تكريم هؤلاء الجند المسلمين، بإقامة مراسيم دفنهم وفق شعائر الإسلام^(٥٢).

وقد كان التكريم الذي تحدثت عنه الصحافة الفرنسية للأحياء والأموات من المحاربين المغاربة مجرد تضليل للرأي العام المحلي عما يجري من مذابح لهؤلاء الأغرار الذين خاضوا حرب الآخرين وسقوها بدمائهم. هذه الدماء التي كانت

وتابع محرر "لافيجي ماروكين" أن الجندي المغربي، كان يجيب على أسئلة كالي بصوت خافت، وقد عبر عن قراره المتصلب بالعودة إلى ساحة القتال في يوم الغد، وفي نفس المقال، أشار المحرر إلى العدد الكبير من المغاربة، الذين أصيبوا إصابات بالغة ورغم ذلك عزموا العودة إلى المعركة قبل أن تلتئم جراحهم، وختم أنه لا يمكن فعل شيء لإلزامهم بالراحة لأيام معدودة.

إن الاندفاع والحماس، الذي نسبته الصحافة الفرنسية للجندي المغربي، وجعلته حاسماً في كثير من المعارك، ورجح الكفة لصالح الفرنسيين، في كثير من الأحيان، نتيجة للمواقف البطولية، التي أبان عنها المقاتل الأهلي، لم تكن تعبر عن الواقع تماماً، وإنما كانت تدين لصور استشراقية أكثر مما كانت تدين للواقع. صور استشراقية وسمت الأهلي ببساطة الفكر وتدني ملكة العقل، وتأجج العاطفة، وقد اتخذتها الصحافة الفرنسية ذرائع للتغطية على الجرائم التي ارتكبت في حق هؤلاء البسطاء من طرف قادة الحرب الميدانيين الذين استهتروا بأرواحهم. ففي هذا الوقت بالذات كانت تفيد الرسائل الموجهة من الجند المغاربة إلى أهليهم والقادمة من خطوط النار بمقتل أغلبهم، وهذا ما كان يغذي الشائعات ويضفي عليها مزيداً من المصدقية، ويضرب عمل ليوطي في الصميم.

ولكي تغطي الصحافة الفرنسية على هذه الجرائم، اعتمدت خطاباً استعماريًا/ استشراقياً يؤسس العلاقة بين الأوروبي المسيطر والأهلي التابع كعلاقة بين شريك قوي وشريك ضعيف، والتي طالما عبر عنها بالشرقي غير العقلاني، والفاقد، والضال، والشاذ، والفاقد، مقابل الأوروبي العقلاني، والفاضل، والقويم، والناضج، والسوي^(٤٧).

وهذا ما نلمسه في الطريقة التي عرضت بها مضامين رسائل وزير الحرب الفرنسي، والتي أشاد فيها بقتالية القناصة المغاربة، الذين كانوا يقاتلون بحماس منقطع النظير، جعل "الضباط يتدخلون للتخفيف من غلوائه، تفادياً لمزيد من الضحايا في صفوفهم"^(٤٨)، الأمر الذي يدفع القارئ إلى تحميل الأهالي مغبة ما يقع لهم، لا إلى وضعهم من طرف قادتهم على صفوف النار الأولى، فالصحافة الفرنسية هنا لم تكتف بتزييف الواقع الذي يجرم القادة العسكريين الفرنسيين، إلى الحد الذي دفع بليوطي إلى مطالبة السلطات العسكرية بالمتروبول بجعل الجند المغاربة تحت قيادة رؤسائهم السابقين من أمثال برولار وكورو... وتفادي وضعهم تحت إمرة جنرال من المتروبول، مما سيحمل الناس على الاعتقاد بعدم الاكثرات

ثالثاً: الخطاب الاستعماري في الصحافة الفرنسية والمشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى

إن تحليل القصص الإخبارية التي تناولت فيها الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب المشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى، و قراءة ما وراء سطورها، يجعلنا نتبين كيف اخترقها خطاب استعماري واضح المعالم والسمات، ندرکه في الكلمات الناضجة بتلك الثنائية الضدية الثابتة، التي ترى أن لا سبيل للقاء بين المستعمر "بفتح الميم" والمستعمر "بنصب الميم" إلا حينما يصبح هذا الأخير تابعاً للأول، مما سيؤدي إلى تعديل وضعه، إلا أنه رغم ذلك لن يكتسب السوية البشرية الطبيعية، فيكون مثل العبد الذي يحاول تقليد سيده، لكن لن يتبوأ رتبة السيادة، فعبوديته هي المانحة لقيمته^(٤٩). هذه النظرة المتعالية، التي شكلت جوهر كل خطاب استعماري، هي التي طفحت بها مقالات الصحافة الفرنسية، والتي تكشف عن نفسها بشكل فج، حتى وهي تقترب من رسم مشاهد التقطيع والبت الذي تعرض له المقاتلون العائدون من جبهات القتال الأوروبية، وهي المشاهد التي لا يمكن أن تستثير سوى المشاعر الإنسانية السامية في الأنفس السوية، لكن في الصحافة الفرنسية كانت مبطنة بإيديولوجيا التفوق العرقي، موشية بعلو الأوروبيين وسفالة الأهالي، الذين لن ينالوا "الاعتراف بجدارتهم في القتال جنباً لجنب مع الجنود الفرنسيين"^(٥٠) ! إلا حينما تقطع أطرافهم وتسترحص أرواحهم، وتقدم قرباناً لحماية أرواح البيض.

وتذكر المقالات التي تناولت المشاركة المغربية في الحرب بإحدى سمات الشرقي تماماً كما جاءت في تمثلاث الغربي. تمثلاث تذكرنا بأسطورة "الأهلي المتوحش" التي كثيراً ما روجت لها الكتابات الاستشراقية، وهو ما نقف عليه في الحكاية التي حكاها (Galli) لصحفي "لافيجي ماروكين" وقد جرت أحداث الحكاية بساحة معركة "لامارن" (La Marné) وجدت مغربياً جريحاً على سرير من قش، يتلقى العلاجات الضرورية، وقد سمعت من ضابط صف حكاية هذا الجندي المغربي، المسمى الحاج أحمد بلقاسم، الذي أصيب برصاصة في ساقه، وحين تم أخذه إلى موقع الإسعافات، علم هناك أن والده قد قتل في المعركة، ودون أن ينسب ببنت شفة، تحامل على نفسه، وحمل بندقيته وملاً جيبه بخراطيش الرصاص وانطلق عائداً إلى ساحة القتال، حيث تمكن من قتل جنديين، وإصابة اثنين آخرين، ثم رجع إلى موقع الإسعافات، وقد أصيب برصاصة في الكتف^(٥١)،

خاتمة

تراوح تناول الصحافة الفرنسية الصادرة بالمغرب للمشاركة المغربية في الحرب العالمية الأولى بين التعظيم والتضليل، وذلك نزولا عند رغبة مؤسسة الحماية بقيادة ليوطي، سكتت عن ما كان يمر به المستعمر من تراجع نتيجة شراسة المقاومة، أو تناولتها على استحياء، سكتت عن مصائر المحاربين المغاربة الذين قذفت بهم فرنسا في جحيم الحرب بوضعهم على الخطوط الأولى للنار، وحين افتضح ما يكابدونه من معاناة لجأت إلى التضليل بإفساح صفحاتها لبطولاتهم ومآثرهم من أجل التغطية على تزيف دم جراحهم المثخنة، وحين عجزت عن تجاهل ما حل بهم من مآسي، عند عودة أول موجة منهم إلى أرض الوطن: موجة المعطوبين، والمنبوذيين، الذين لم يعودوا يصلحون لشيء بلغتها^(٥٠)، قاربت موضوع مشاركتهم في الحرب، وهي تنوس بين التعظيم والتضليل، بخطاب استعماري فيه الكثير من التعالي والتحقير.

بحيواتهم، وسهولة تقديمهم قرابين لآلة الحرب الجهنمية، بدلا عن الفرنسيين، بل أرجعت المجازر التي ذهبوا ضحيتها إلى خصائص طبيعتهم النفسية متمثلة في اللامبالاة، وانعدام القدرة على تقدير الأمور كما يجب، مروجة بذلك لخطاب استعماري يجرّد الأهالي من ملكة التفكير المنطقي "لقد كان هؤلاء الجنود يقاتلون تحت القصف العنيف لنيران المدفعية الألمانية، غير عابئين بالأخطار"^(٥١).

والملاحظ أن هناك تعالفا بين الخطاب الصحفي المشبع بالرؤية الاستشراقية والتاريخ ممثلا في خطاب وأفعال المقيم العام، وكأن الأول يبرر الثاني أو يزيّفه، خاصة إذا علمنا أن الصحافة الفرنسية بالمغرب كانت تقوم بترجمة أمنية للسياسة التي اجترحتها ليوطي في زمن الحرب، فهذا الأخير لم يكتف بتعميم الجهل والتضليل، بل صفق له واحتفى به وأشاد به، في عملية تضليل واسعة مارسها على شعب ساذج، وجاهل، وسادر عما يحاكّ ضده، تجلّى ذلك في تلك المقالات المبالغ في تعداد مآثر المحاربين المغاربة، ولكنها في نفس الوقت كانت مبطنة بخلفيات استعمارية تبريرية تقوم على فكرة التفوق الحضاري الأوروبي، وعلى تمركز تاريخي متعال يدعو ويدعي مقدرة الرجل الأبيض الاضطلاع بدور رسول العناية الإلهية/الحضارية، وقدمت الأهالي كإنسان قاصر يحتاج لمن يقوده ويوجهه.

وتبلغ النظرة الدونية للأهلي قمته حين لم ترى تلك الصحافة، وهي تصف مشهّدًا صادما لطوابير المعطوبين المشوهين وقد استحالوا إلى مسوخ، في الأطراف المبتورة والعيون المظموسة للمحاربين الأهالي العائدين، سوى دليل على احتكاكهم بقيم الإنسان الأبيض عن قرب، "أعز ما تملك الإنسانية: الحرية، الكرامة الإنسانية، احترام الضعيف، الوفاء بالعهد. القيم الرائعة التي كان المغاربة يجهلون حدود الأمس القريب، فأحاطوا بها علما باحتكاكهم بالفرنسيين"^(٥٢)، وبذلك لم تكن التضحيات التي قدمها المغربي، رغما عنه، لتحرره من أسر الصورة النمطية التي كونها الأوروبي عنه، الذي اعترى التمايز بينه وبين الآخر، يصل حد التمايز بين الإنسان والحيوان.

الاحالات المرجعية:

فبراير ١٩١٩، وبذلك ضمته إلى باقتها إلى جانب المراقب المغربي "لافيجي ماروكين".

(19) **Le Progrès Marocain**, Darné (A), La Situation, 5(ème) année – N° 957, Casablanca, mercredi 3 mai 1916, p. 1.

(20) Bakraoui, Mohamed, **Les Marocains dans la Grande Guerre 1914-1919**. Publications de la Commission d'Histoire Militaire, 1(ère) édition 2009, p, 116.

(21) **Le Progrès Marocain**, Les Tirailleurs Marocains A D, ..., , 5(ème) année – N° 928, Casablanca, mardi 28 mars 1916, p.1.

(22) **La Vigie Marocaine**, Nos soldats marocains se distinguent. Télégramme officiel. Bordeaux, le 10 décembre 1914). Guerre à Résidence. – Rabat. N° 5423 – 9/117(ème) année – N° 1454, Casablanca, mardi 15 décembre 1914, p. 1. Et voir aussi : **Le progrès Marocain**, Le Maroc au Feu, 4(ème) année – N° 546, Casablanca, mercredi 6 janvier 1915, p.1.

(23) De Saboulin (Louis), **Le Progrès Marocain**, Honneur aux Tirailleurs Marocains, 5ème année – N° 960, Casablanca, samedi 6 mai 1916, p. 1.

(٢٤) بلغ عدد المغاربة العائدين إلى الوطن، حسب مقال آخر، ٩٠٠ جندياً إضافة إلى حوالي ٦٠ مصاباً معفى من الخدمة العسكرية، انظر:

Le Progrès Marocain, La Réception de ce soir, 5(ème) année – n° 960, Casablanca, samedi 6 mai 1916, p. 1.

(25) **Le Progrès Marocain**, Le Retour des Tirailleurs Marocains, 5(ème) année – N° 961, Casablanca, dimanche 7 et lundi 8 mai 1916, p.1.

(26) Boutbouqalt (Tayeb), **La politique d'information du protectorat français au Maroc**, op. cit, p. 220.

(27) Ibidem

(29) تحدثت الجريدة عن مغربي أصيب برصاصة في رأسه بمعركة "لامارن"، فقطع النهر سباحة ليلتحق بالإسعاف، بعد أن استبطأ الطريقة العادية لحمل المصابين إليها. (كان يتم نقل الجنود بواسطة قارب). وقد عبرت الجريدة عن ذلك بأسلوب، يخلو من أي تعاطف، انظر:

La Vigie Marocaine, Nos soldats marocains, 7(ème) année – N° 1367, Casablanca, samedi 19 septembre 1914, p. 1.

(29) **La Vigie Marocaine**, Nos soldats marocains, 7(ème) année – N° 1373, Casablanca, vendredi 25 septembre 1914, p.1.

(٣٠-٣١)- حكى السيد كالي لصحفي جريدة "لافيجي ماروكين" عن زيارته لساحة معركة "لامارن" حيث وجد مغربياً جريحاً على سرير من قش، يتلقى العلاجات الضرورية. وقد سمع "كالي" من ضابط صف حكاية الجندي المغربي، المسمى الحاج أحمد بلقاسم، الذي أصيب برصاصة في ساقه. وحين تم أخذه إلى موقع الإسعافات، علم هناك أن والده قد قتل في المعركة، ودون أن ينس بيت شفة، تحامل على نفسه، وحمل بندقيته وملاً جيبه بخراطيش الرصاص وانطلق عائداً إلى ساحة القتال، حيث تمكن من قتل جنديين، وإصابة اثنين آخرين، ثم رجع إلى موقع الإسعافات، وقد أصيب برصاصة في الكتف، وتابع المحرر أن الجندي المغربي، كان يجب على أسئلة كالي بصوت خافت، وقد عبر عن قراره بالعودة إلى ساحة القتال في يوم الغد. وأشار المحرر، في نفس المقال، إلى العدد الكبير

(1) **La Vigie Marocaine**

(2) **La Vigie Marocaine**, Le départ du général Brulard, 7(ème) année – N° 1356, Casablanca, mardi 5 septembre 1914, p. 1.

(3) La liberté

(4) Millerand

(5) **La Vigie Marocaine**, M. Millerand chez les tirailleurs Marocains, 7(ème) année – N° 1356, Casablanca, mardi 8 septembre 1914, p. 1.

(6) Poincaré

(7) **La Vigie Marocaine**, M. Poincaré passe l'inspection des Troupes marocaines, 7(ème) année – N° 1361, Casablanca, dimanche 13 septembre 1914, p. 1.

(8) Mitel Hoeuser

(9) **La Vigie Marocaine**, Revue des Troupes, 7(ème) année – N° 1356, Casablanca, mardi 5 septembre 1914, p. 1.

عياش، جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين الباز، وعبد العزيز التمساني خلوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص، ٢٧٢ (١٠)-

(11) **La Vigie Marocaine**, Les Troupes du Maroc en France, 7(ème) année – N° 1366. Casablanca, vendredi 18 septembre 1914, p. 1.

(12) **La Vigie Marocaine**, Ce que Le Maroc a donné à la défense nationale. Mission qui incombe à ceux qui restent, 7(ème) année – N° 1366. (Casablanca, vendredi 18 septembre 1914). p.1.

(13) Ibidem

(16) شكلت الجبهة الممتدة من قصبية تادلة إلى تازة، هاجسا لليوطي، خلال هذه الفترة من الحرب العالمية الأولى، لهذا قام ليوطي مرفوقا بالجنرال هنريسي قائد جهة فاس – مكناس، والكولونيل Simon رئيس مصلحة الاستعلامات، والفيطبان (Delmas) رئيس المكتب العسكري (Cabinet Militaire) بزيارة جبهة زيان، للاطلاع عن كئيب على الوضع السياسي والعسكري بها، انظر:

La Vigie Marocaine, Le général Lyautey chez les iaïan.. 7(ème) année – N° 1386, Casablanca, jeudi 8 octobre 1914, p.1.

(15) **La Vigie Marocaine**, Une interview d'Abd-el-Aziz. 7(ème) année – N° 1366, Casablanca, vendredi 2 octobre 1914, p.1.

(16) **La Vigie Marocaine**, Sanglant combat devant Khénifra, 7(ème) année – N° 1426, Casablanca, mardi 17 novembre 1914, p.1.

(17) Boutbouqalt (Tayeb), **La politique d'information du protectorat français au Maroc (1912-1956)**, Les Editions Maghrébines. Casablanca. 1(ère) Edition 1996, p, 231.

(20) جريدة يومية أسسها المحامي لوي دوسابولان في دجنبر ١٩١٢ بالدار البيضاء. فرضت نفسها في السوق، فبذت كأكثر جريدة بالمغرب، خالقة بذلك متاعب حقيقية لجريدة المراقب المغربي، التي عانت من منافستها الحادة. استحوذت مجموعة كارين – بليسون على جريدة التقدم المغربي في

- (43) **La Vigie Marocaine**, Un fait d'armes des Zouaves, 7(ème) année – N° 1441, Casablanca, mercredi 2 décembre 1914, p, 1. إبراهيم (عبد الله)، **جريدة الرياض**، نقد الخطاب الاستعماري، ١٤ (44) شتنبر ٢٠١٣، العدد ٨/١٦٠
- (45) **La Vigie Marocaine**, Nos soldats marocains se distinguent, Télégramme officiel, Bordeaux, le 10 décembre 1914, Guerre à résidence – Rabat, N° 5432- 9/11.
- (46) **La Vigie Marocaine**, Nos soldats marocains, 7(ème) année – N° 1373, op.cit. p.1. (٤٧) إدوارد، سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة د. محمد عناني، رؤية، ٢٠٠٦، ص ٩٦.
- (48) **La Vigie Marocaine**, Les prouesses de nos troupes du Maroc, op, cit, p, 1.
- (49) **La Vigie Marocaine**, Les exploits des troupes d'Afrique, op. cit, p, 1.
- (50) **Le Progrès Marocain**, pour les Marocains, 6(ème) année – N° 1206, Casablanca, dimanche 28 janvier 1917, p, 1.
- (51) **Le Progrès Marocain**, Œuvre des Marocains réformés, 5(ème) année – N°982, Casablanca, jeudi 2 mai 1916, p, 2.

من المغاربة، الذين أصيبوا إصابات بالغة ورغم ذلك عزموا العودة إلى المعركة قبل أن تلتئم جراحهم، وختتم أنه لا يمكن فعل شيء لإلزامهم بالراحة لأيام معدودة.

- (31) **La Vigie Marocaine**, Les exploits des troupes d'Afrique, 7(ème) année – N° 1375. Casablanca, dimanche 27 septembre 1914, p, 1.
- (32) **La Vigie Marocaine**, Lettre de Paris, Les Marocains à la guerre, 7(ème) année – N°1392, Casablanca, Casablanca, mercredi 14 octobre 1914, p, 1.
- (34) نقلت جريدة "لافيجي ماروكين" مقالاً تطرق لتجربة حية لأحد محرري صحافة المتربول حيث كتب " كنت مستلقياً على الأرض، خائفاً أن يكتشف أمرى، حين رأيت مشهداً، يحدث بساحة الوغى، لم أتبين حقيقته في البداية، إلا أنه هز أعماقي، وملأني بالحماس، حين رأيت الخيالة المغاربة، يثبون مهاجرين على العدو المتمرس بالخدائق، وخلال لحظات غطت طققات البنادق على ذوي المدافع، ومعها تفاجأ البروسيون، داخل خنادقهم، فاندفعوا في اتجاه واحد، لتفادي الصدمة، التي أحدثها هجوم الخيالة المغاربة، إلا أن عددا قليلا منهم هو الذي تمكن من الإفلات والاحتماء بالخدائق الخلفية، وهم يتخبطون في ذهول وتيه، وقد انتهت المعركة، في ذلك اليوم، بانتصار الفرنسيين"، انظر:

- La Vigie Marocaine**, Une charge des cavaliers marocains, 7(ème) année – N° 1394, Casablanca, vendredi 16 octobre 1914, p, 1.
- (34) **La Vigie Marocaine**, Les prouesses de nos troupes du Maroc, Les félicitations du Ministre de la Guerre, Les Marocains à la guerre, 7(ème) année – N° 1415, Casablanca, vendredi 6 novembre 1914, p, 1.
- (35) Ibidem.
- (36) **La vigie Marocaine**, Sanglant combat devant Khénifra, 7(ème) année – N° 1426, op.cit, p, 1.
- (37) Boutbouqalt (Tayeb), **la Politique d'information**, op.cit, p. 231.
- (38) **La Vigie Marocaine**, Les indigènes et la guerre, 7(ème) année – N° 1419, Casablanca, mardi 10 novembre 1914, p, 1.
- (39) **La Vigie Marocain**, Maroc Oriental. Oujada. On recueille des vêtements chauds même au Maroc, 7(ème) année – N° 1405, Casablanca, mercredi ٢8 octobre 1914, p, 1.
- (40) **La Vigie Marocaine**, Le roi Albert rend hommage aux héros africains, 7(ème) année – N° 1425, Casablanca, lundi 16 novembre 1914, p, 1.
- (41) **La Vigie Marocaine**, Afrique du Nord. Pour les soldats musulmans, 7(ème) année – N° 1447. Casablanca, mardi 8 décembre 1914 p.1. et voir aussi : **Le progrès Marocains**, Le Maroc au Feu. Obsèques de soldats musulmans, 4(ème) année – N° 571. Casablanca, jeudi 4 février 1915 p.1.
- (42) **La Vigie Marocaine**, Afrique du Nord. Pour les soldats musulmans, 7(ème) année – N° 1447, Casablanca, mardi 8 décembre 1914, p, 1.